

جدلية الشعر والصراع في المجتمع القرشي خلال فترة العصر الإسلامي المبكر
The dialectic of poetry and conflict in the Quraish society
During the early Islamic period

بن طاطة محمد

Bentata Mohamed

جامعة أحمد بن يحيى الوشريسي - تيسمسيلت (الجزائر)

University Ahmed ben yahia elouancharissi- Tissemsilt(Algeria)

bentata16@gmail.com

تاريخ النشر: 2023/09/02	تاريخ القبول: 2023/03/06	تاريخ الإرسال: 2023/02/20
-------------------------	--------------------------	---------------------------

مُلَخِّصُ الْبَحْثِ

تتعلق إشكالية هذه الدراسة من العلاقة الجدلية بين الجانب الفني والجانب الإيديولوجي في الشعر العربي القديم، وتحديدًا في فترة العصر الإسلامي المبكر، وسيكون المجتمع القرشي المسرح الأول لتصوير هذه العلاقة، لخصوصية اتّصف بها شعراء مكة في أواخر العصر الجاهلي وبداية العصر الإسلامي، إذ سجلت المصادر القديمة أنّ قريشا كانت متقدمة عن العرب في كل شيء إلا في الشعر، غير أنّه في الفترة الأولى لظهور الإسلام شهدت أندية حركة شعرية نشيطة، وأخرجت إلى الساحة الأدبية أسماء لامعة، مما يطرح تساؤلات أكيدة حول مدى تأثير التحولات الإيديولوجية في تفعيل الحركة الشعرية. الكلمات المفتاحية: حركة شعرية، جدلية، واقع شعري، تحولات إيديولوجية.

Abstract :

The problem of this study stems from the dialectical relationship between the artistic side and the ideological side in ancient arabic poetry, specifically in the early islamic era. The ancient sources recorded that the Quraysh were ahead of the arabs in evrything except in poetry . However , in the early priod of the advent of Islam , its clubs witnessed an active poetic movement , and brillant names were brought out into the literary arena , which raises certain questions about the impact of ideological transformations on the activity of the movement noodles.

* بن طاطة محمد bentata16@gmail.com

Keywords : Poetic movement, dialectic, poetic reality, ideological transformations.



تمهيد:

ذكرت المصادر القديمة أنّ أهل مكة مارسوا سلطة سياسية وروحية كبيرة على سائر العرب*¹، إذ كانوا جيران البيت الحرام وخدام زوّاره الوافدين لأداء مناسك الحج والتجارة؛، وأكثر من ذلك كانت مدينتهم مركز إشعاع فكري وثقافي، لاحتضان ساحاتها أهم الأسواق الأدبية في الجزيرة العربية*²، والتي شكّلت ميدان مُبارزة بين الخطباء والشعراء، فاجتمعت لهم بذلك أسباب السيادة، ونعموا بشيء من الاستقرار لوقت طويل.

عرف المجتمع القرشي نوعاً من الاستقرار، إلاّ أنّه مع مرور الزمن شهد الواقع المعيش انتكاسة حقيقية، صارت تعد بالانفجار في أي لحظة، وبلغ الأمر مداه مع نهاية القرن السادس الميلادي، وكان ظهور الدعوة الإسلامية في هذه الأثناء مؤذناً بمرحلة جديدة، فقد كانت تعاليمها ثورية بكلّ المقاييس بملامستها لمناطق محظورة في عرف مكّة بإدانتها للآلهة (الوثنية) بشكل علني، فغدا من الضروري مقاومتها لكبح انتشارها، غير أنّها خرجت عن نطاق المراقبة الذي فرض عليها إلى فضاءٍ أوسع (يثرب/المدينة)، وأصبحت سلطة حقيقية في المنطقة، مما جعل مصداقية قريش (السلطة القديمة) رهينة الصراع مع هذه القوة الناشئة والواقعة على أهم طريق تجاري نحو الشام، وفي غمرة هذا الصراع وقفت بعض القبائل العربية في صفّ قريش، بينما وقفت الأخريات موقف المتردّد، تنتظر ما يُسفر عنه النزاع، فتحرّكت قريش باتجاه القبائل التي لمّا تحسم أمرها في سبيل اكتساب تأييدها، وتألّيتها على القوة الصاعدة في يثرب (المدينة)، وجنّدت لذلك كلّ الوسائل الدعائية المتاحة.

كان الشعر أهمّ الوسائل المتاحة في هذا الصراع، ولذلك استنهضت قريش شعراءها، وخطباءها من أجل استدراك ما لم تفعل القوة المادية في بلوغه، حيث فشلت في التضييق عليها؛ ثمّ خرجت تلك الدعوة إلى فضاءٍ أوسع (يثرب) فتعسّر عليها محاصرتها، وحينها بلغ الصراع أقصاه، وأصبحت الحاجة إلى الآلة الإعلامية ملحة والمثثلة هنا في الشعر؛ فكان وسيلتها الرئيسة من أجل تبرير موقفها، وتسفيه رأي خصومها (أنصار الدعوة الجديدة)، وبالفعل استقطبت قريش الشعراء، واستنهضتهم لهذا الأمر، فكانوا مع طلائع الجيش في معسكرها، وفي ردّة فعل معاكسة استنفر النبي (ص) الشعراء من جمته للوقوف في صفّ الدعوة، فكانت المواجهة الشعرية تسير جنباً إلى جنب مع المواجهة المسلحة.

1- الواقع الشعري في المجتمع القرشي خلال العصر الإسلامي المبكر:

كانت الفترة الأخيرة من العصر الجاهلي فترة نشاط شعري بامتياز، وخاصة في المنطقة الشمالية (القبائل العدنانية)، فقد ذكر جرجي زيدان أنّ المشهورين من الشعراء في العصر الجاهلي نحو مائة وخمسة وعشرين

شاعراً، استأثرت القبائل العدنانية بأغلبهم، ومنها قبائل بكر، وهذيل، وتميم...³، وما يلفت الانتباه هنا أنّ قبيلة قريش (العدنانية) برغم عدتها وعديدها لم يبرز منها في هذه الفترة إلا بضعة شعراء⁴، قال الأصفهاني: "...[كان] العرب تُقرّ لقريش بالتقدم في كلّ شيءٍ عليها إلا في الشعر، فإنّها كانت لا تُقرّ لها به..."⁶ فلم تكن قريش متقدّمة في مجال الشعر، غير أنّه كانت لها سلطة ظاهرة على أذواق الشعراء، فقد "...كانت العرب تعرض أشعارها على قريش، فما قبلوه منها كان مقبولاً وما ردّوه منها كان مردوداً..."⁷، فكّن ذلك التلازم الحادث بين عالم الدين والتجارة لقريش سلطة ثقافية (تقدية) مارسها بشكل علني على أذواق الشعراء الذين تجمعهم الأسواق التجارية/الأدبية المنعقدة في محيط مكة، والمترتبة بشكل وثيق بمناسك الحجّ، وفي المقابل سجّلت ساحات قريش ضيقاً ملحوظاً في المدونة الشعرية وقلة في عدد الشعراء مقارنة بالعصر الإسلامي.

وبالفعل فقد ذكر ابن سلام في طبقاته المشهورين من شعراء مكة في الجاهلية والإسلام، والذين كان لهم حضور شعري مميّز، واحتفت بهم مصادر الأدب العربي القديم؛ فكان عددهم تسعة، اثنان منهم قضوا في العصر الجاهلي، وهم: الزبير بن عبد المطلب، ومسافر بن أبي عمر بن أمية، وسبعة منهم أدركوا العهد الأوّل، من ظهور الدعوة الإسلامية وهم: أبو طالب بن عبد المطلب، وأبو سفيان بن الحارث، وضرار بن الخطاب، وأبو عزة الجمحي، وعبد الله بن حذافة السهمي وهبيرة بن أبي وهب، وعبد الله بن الزبيري.⁸

يثبت هذا التفاوت في أعداد شعراء قريش بين العصرين الجاهلي الإسلامي قول ابن سلام: "...إنّما كان يكثر الشعر بالحروب..."⁹، فالأكيد أنّ الصراع الديني/السياسي هو الذي نشط الحركة الشعرية، بدليل "...أنّه لم يكن في مكة في الجاهلية شعر يُذكر ولا شعراء، فكأنّ هذا الانقلاب الروحي الخطير أتاح الفرصة لكي يظهر فيها شعراء..."¹⁰، فكانت لحظة تاريخية تضافرت فيها الأحداث ليجمع أصحاب السنان مع أصحاب اللسان (الشعراء) ويجزّكوا الصراع بالسرعة القصوى.

احتفظت الذاكرة الشعرية العربية بأسماء كثيرة للشعراء الذين سلكوا في هذا الصراع، فكان منهم المطبوعون الذين لمعت أسماؤهم في عالم الشعر، ومنهم من كان دون ذلك، يُثيره الصراع ويخونه الطبع؛ فكثيرٌ منهم ما كان لكتب الأدب أن تحفل بهم لولا انخراطهم في هذا الصدام، قال عنهم ابن سلام: "...وأشعار قريش أشعارٌ فيها لين فنشكّل بعض الإشكال..."¹¹، كما أنّها وليدة البيئة الحضرية التي لم تكن تلقى القبول عند أهل العلم بالشعر¹²، إلا أنّ هذه الهبة الشعرية التي حدثت على حين غرة قدّمت مدوّنة مهمّة سارت في عدّة اتجاهات، وأحدثت نوعاً التميّز في تاريخ الأدب العربي القديم.

2- اتجاهات الحركة الشعرية القرشية خلال العصر الإسلامي المبكر

1- الجدل الديني والسياسي في شعر قريش:

كان مسار الدعوة الإسلامية يتفاعل بشكل متصاعد وسريع، و يُنذر بنهاية وشيكة للسلطة القديمة (قريش)، وبدا ردّ فعلها منذ اليوم الأوّل عنيفاً؛ لأنّها أصبحت في ورطة حقيقية؛ فقد ضاعت هيبتها

السياسية، وتسرب الشك إلى عقيدتها (الوثنية)، وأضحى الأمر يتطلب حملة دعائية كبيرة من أجل استرجاع مكائنها، ولم يكن أمامها سوى الشعر فـ "...لم يلجأ القرشيون إلى الشعر في مقاومتهم الدعوة الجديدة كخيار من جملة خيارات مفتوحة أمامهم؛ إذ لم يكن لهم سواه، لأنه لم تكن لهم إيديولوجية دينية، أو سياسية يمكن أن يجمع عليها أو يتقبلها العرب..."¹³، فتحرّكت قراخ الشعراء حينها في اتجاهات غير معهودة في تقاليدهم لمواجهة التهديد الذي نفذ إلى مناطق محظورة في عُرفهم، تعلّق بمسألة الجدل حول العقيدة (الوثنية)، ومركزية قريش في المنطقة.

لم يكن الجدل حول العقيدة مسألة مطروحة بين العرب الجاهليين عامّة، ولم يحفل به الشعراء إلاّ أنّه أصبح مطروحاً بشكلٍ مُبلّغ بعد ظهور الإسلام، وصار هاجساً لقريش التي كانت تبحث عن سرّ قوة هذه الدعوة؛ ثم وجدت بعضاً من ضالتها عند المرجعية الدينية التي كانت تدّعي التوحيد في المنطقة (اليهود)، قال البيهقي: "...كان كعب بن الأشرف اليهودي أحد بني النضير، وقبيلهم... قال له أبو سفيان: أناشدك الله، أديننا أحب إلى الله أم دين محمد وأصحابه؟ وأيننا أقرب إلى الحق؟ فقال ابن الأشرف: أتم أهدى منهم سبيلاً..."¹⁴، فأتاحت مثل هذه التزكية اليهودية للعقيدة الوثنية طاقةً حجاجية كبيرة، لهج بها الشعراء القرشيون كثيراً، مُفتتحين بذلك عصراً من الجدل الديني الذي طبع مسار الصراع الإيديولوجي.

كان من البديهي أن يتجه شعراء العهد الأوّل إلى الجدل الديني، استجابة لتداعيات الصراع الإيديولوجي الذي تركّز في هذه المنطقة (العقيدة)، ولعلّ أهمّ شاعرٍ قرشي تجلّى على صفحته هذا الجدل هو: عبد الله بن الزبيري السهمي وهو من ساداتها، وفرسانها، مقيم في بطاح مكة*¹⁵، من طبقته هبيرة بن وهب*¹⁶، وعمر بن العاص*¹⁷، والحارث بن هشام*¹⁸... ذكر ابن سلام أنّه (ابن الزبيري) كان مُقدّماً على شعراء عصره في قريش، قال: "...و بمكة شعراء، فأبرعهم شعراً عبد الله بن الزبيري..."¹⁹، إلّا أنّ ما حُفظ من شعره قليل، غير أنّه صوّر جانباً مُهماً من الحياة العربية (الحضرية) في آخر العصر الجاهلي و بداية العصر الإسلامي.

كان عبد الله بن الزبيري السهمي من عشيرة تُنافس على المجد والسيادة اللذين استأثرت بهما بنو هاشم دون سائر قريش، غير أنّ الدعوة التي ظهرت فيهم و تعصّب لها بعض بني عمومته من بني عبد مناف، وأداروا ظهورهم للعقيدة القديمة (الوثنية) جعلت هذا الخصم السهمي يحاول أن يظهر بمظهر المدافع عن دين قريش بما يماثل سياسة ملء الفراغ، ليستأثر بجانب من السلطة الدينية التي كانت في بني هاشم، والتي تمهّد الطريق في حال تحقّقها- إلى السيادة السياسية، لأنّ "...السيادة تمثّل حالة خاصّة من السلطة..."²⁰، وهي التي كانت محور الصراع بين بني سهم وبني عبد مناف منذ القديم.

كان عبد الله بن الزبيري في الجاهلية شاعر قومه الأذنين (بني سهم) في مواجهة بقية عشائر قريش، ثم عندما "...جاء الإسلام نجد ابن الزبيري من أشدّ خصومه المنافقين عن دين قومه الموروث معتزاً بالكعبة،

وأصنامها...وكان ابن الزبيرى شاعر قريش الأول الذي يتصدى بشعره ليصور أحوال قريش في النصر والهزيمة...²¹، فصار صوت القبيلة كلها والمدافع عنها، فما قال ²²:

أمن رُسم دارٍ أفقرت بالعتاثِ بكيت بعينٍ دُمعها غيرُ لاثِ
و من عجب الأيَّامِ والدهرُ كُلِّه له عجبٌ من سابقاتِ وحادِثِ
لجيشٍ أنا ذا ذي غرامٍ يقوِّده عبدة يُدعى في الهياجِ ابنُ حارِثِ
لنتركُ أصناماً بمكة عكفاً موارثَ موروثِ كريمٍ لوارِثِ

هذه إحدى نماذج الحملة الدعائية (الشعرية) التي افتتحها شعراء قريش مع بداية الصراع، فهذا ابن الزبيرى يُبدي تعجبه في هذه الأبيات من خصومه الذين يدينون عقيدة الآباء (الوثنية) بشكل علني، ويعيبون عليهم تمسكهم بها.

لم يكن هذا النمط من السجال حول العقيدة ديدن العرب في سابق عهدهم، وإنما هو حصيلة مباشرة للصراع الإيديولوجي الذي نحا بالشعر منحىً جديداً، احتل فيه الجدل الديني موقع الصدارة، فكان يمثل نوعاً من التجديد في موضوعات الشعر، قال عنه طه حسين "...هناك تجديد آخر ظهر في الشعر العربي، بعد أن ظهر الإسلام بقليل، وذلك عندما بدأ شعراء المسلمين وشعراء المشركين من قريش يتهاجون فيما بينهم؛ بعضهم يُدافع عن الإسلام وبعضهم يُخاصم الإسلام ويهاجمه..."²³، فمثل هذا الجدل مقدّمه لسلسلة من التحوّلات الفنية في الذائقة الشعرية العربية؛ والتي لم تكن عميقة بشكل كبير، إلا أنها مثّلت منعرجاً حاسماً في تاريخ الشعر العربي القديم.

2-2 العنف والحجاج والارتداد إلى الماضي في شعر قريش

كان أغلب الشعراء القرشيين الذين تورطوا في الصراع من السادة والفرسان في عشائهم؛ لأنهم وقعوا في تناقض مع التعاليم الثورية للعقيدة الجديدة التي وقفت ضدّ كثير من التقاليد المؤسسة لسلطتهم؛ بالإضافة إلى نشوء حلف بين أنصار الدعوة الإسلامية (المهاجرين)، وبين قبيلتي الأوس والخزرج القحطانيّين (الخصم القديم)²⁴ في يثرب؛ مما أظهر إلى السطح خصومة قديمة، لم تكن في السابق محلّ سجال بين شعراء مكة ويثرب، إلا أن الصراع الذي حدث أخرجها إلى العيان.

تردّت الدعوة القبلية المعادية للقحطانية على ألسنة شعراء قريش بشكل متواتر وعنيف؛ مصوّرة التنكّر للعقيدة القديمة (الوثنية)، والتحالف مع الخصم القحطاني كوع من الخروج عن التقاليد القبلية الموروثة؛ ولم يلبث الشعراء أن استلموا هذه القرائن، وشكّلوا منها روافد حجاجية مصكوكة في شكل بيانات سياسية عنيفة؛ ولعلّ أكثر شاعر قرشي تردّد على لسانه هذه الدعوة، هو ضرار بن الخطاب الفهري القرشي²⁵ الذي كان شاعراً مُجيداً، قالت عنه المصادر القديمة: "...كان من فرسان قريش، وشجعانهم، وشعراءهم المطبوعين المجوّدين، حتى قالوا: ضرار ابن الخطاب فارس قريش، وشاعرهم..."²⁶، وكان يعيش على أطراف مكة، مما جعل طبيعته أقرب ما تكون إلى حياة البداوة، فهو "...من ظواهر قريش وكان لا يكون بالبطحاء

إلا قليلاً، و كان جمع من حلفاء قريش، ومزاق كنانة ناساً، و كان يأكل [بهم] و يُغير ويُسيي ويأخذ المال...²⁷.

تُظهر هذه الترجمة المقتضبة مكانة الشاعر في قومه، كما تُبرز لنا كذلك نمطاً من الحياة كان سائداً على أطراف مكة (قريش الظواهر)، اعتمد أهله على طبعي الغزو والسلب السائدين في المجتمع العربي القديم، على خلاف بقية بطون قريش المتمركزة حول الكعبة (قريش البطاح) الذين قامت حياتهم على ثنائية الدين والتجارة؛ فأثروا حياة الأمن، والمهادنة مع بقية قبائل العرب.

مثلت المدونة الشعرية القرشية والمرويات الشفوية المحيطة بها بالرغم من تواضعها السيل الأكثر أمناً لرصد بعض الخصائص الأثروبولوجية لذلك المجتمع الذي كان يُقدس الشعر، ويُعلي من قدر الشعراء، فقد كانت هذه المرويات المتعلقة بالشعراء تُلخص وتجمع كثيراً من خصائص الحياة المحيطة بهم، فذكرت بعضها أنّ عبد الله بن الزبيري كان نموذجاً للشعراء (السادة) القرشيين المناوئين للدعوة الدينية التي انقلبت على عقيدة الآباء (الوثنية)، كما أظهرت ضرار بن الخطاب الذي نشأ في البادية (ظواهر قريش) بمظهر السيد والفارس المدافع عن القيم التقليدية بسيفه ولسانه، والمتشبث بالروح القبلية (العصبية) المرتبطة أصلاً بالبادية، فـ "...قريش الظواهر التي اعتمدت في معاشها على الغزو والرعي جعلت العصبية القبلية في مركز الصدارة..."²⁸.

كان حنّ ضرار بن الخطاب (بعد غزوة بدر) على خصومه القحطانيين (الأوس و الخزرج) الذين آووا القرشيين (المهاجرين)، وأحيوا النزاع القديم أكثر من حنقه على أبناء عمومته الراضين للتقاليد القبلية، فكان هذا الفارس الشاعر حاضراً في بدر، ورأى، و سمع ما وقع و قال في أعقاب ذلك:²⁹

عجبتُ لفخر الأوس و الحين دائر	عليهم غداً والدهر فيه بصائر
وفخر بني النجار إن كان معشر	أصيبوا ببدر كلهم ثم صائر
ووسط بني النجار سوف نكرها	لها بالقنا والدارعين زوافر
فترك صرعى تعصب الطير حولهم	وليس لهم إلا الأمان ناصر
وتبكيهم من أهل يشرب نسوة	لهنّ بها ليل عن النوم ساهر

توجّه خطاب ضرار بن الخطاب إلى بني النجار (الأوس و الخزرج) الذين تدخلوا في الصراع باستقبالهم للمهاجرين، فأحيوا بذلك الحزازات القديمة التي كانت تتجنى قريش حفاظاً على مكانتها التجارية في المنطقة؛ غير أن تضرر مركزها الديني بعد ظهور الدعوة الإسلامية وتنكرها العلني للوثنية؛ أخرجها من ذلك التحفظ والمهادنة إلى موجة من العنف.

مثل الافتخار بالآباء والأجداد سمة مشتركة بين جميع أفراد القبيلة (قريش)، فمن ذلك كان الانتماء إليها يشكل هوية رئيسة للفرد، ولا قيمة له خارجها؛ وهذا ما جعل مهمة الدفاع عن شرفها وتقاليدها مهمة جماعية، فالتخذ الشعراء من هذا الحس الذي يستمد قوته من الارتداد إلى الماضي طاقة حجاجية، وأداة تحريضية لزيادة عنف المعركة، فقد كان داعي الصراع يجد أذناً صاغية عند كل من طوعته قريحته الشعرية، فانبرى لذلك

عدد كبير من الشعراء، كان منهم السادة، والفرسان مثل: عبد الله بن الزبير، وضرار بن الخطاب، وهيرة بن وهب... ومنهم من كان من طبقة البسطاء، غير أنّ واجب الولاء للقبيلة حتم عليهم أن يسيروا في ركاب من هم أعلى منهم في السلم الاجتماعي.

من هؤلاء الشعراء الذين أنتجتهم الطبقة العامة في المجتمع القرشي خلال تداعيات الصراع الإيديولوجي، بين حلف قريش و أتباع الدعوة الدينية الجديدة، تطالعنا المصادر القديمة بأسماء، مثل: الأسود بن زمعة³⁰، ومقيس بن صبابه³¹، وأبو عزة الجمحي، ومن النساء الشواعر يُذكر اسم قُتيبة بنت النضر³²... غير أن أهم علم في هذه الطبقة هو أبو عزة الجمحي "...عمرو بن عبد الله بن عثمان الجمحي، شاعر مخضرم عاش في الجاهلية ثم أدرك الإسلام، من أهل مكة... 3هـ/625م..."³³، ذكره ابن سلام الجمحي مع الشعراء المقدمين في قريش في هذه الفترة، قال عنه: "...وكان أبو عزة شاعراً، وكان مملقاً ذا عيال..."³⁴ فلم يكن من الفرسان أو السادة المقدمين في المجتمع القرشي.

خرج أبو عزة مع قريش في بدر لنصرة قومه وطلب الغنائم، غير أنه وقع في الأسر، وتمّ فداؤه في صفقة بينه وبين الرسول صلى الله عليه وسلم³⁵، غير أنّ الحرب اشتدتّ عُراها مرّة أخرى فظهرت الحاجة إليه، فدعاه قومه "...فخرج أبو عزة يسير في تهامة ويدعو بني كنانة..."³⁶، فكان رسول قومه إلى هذه القبائل المترددة في موقفها من الصراع.

كان هذا الشاعر صوتاً لقومه لدى القبائل المجاورة، فحملة الدعاية الداخلية تكفل بها غيره من الشعراء، فخرج إلى تلك القبائل التي كانت تلتزم الحثّاد في هذه المعركة، وكانت مهمته أن يقنعها بضرورة المشاركة في هذه الحملة لاستئصال الخطر الداهم (الدعوة الإسلامية المتحالفة مع الخصم القحطاني)، ومن جملة ما قال في هذا الصراع³⁷:

يَا بَنِي عَبْدِ مَنَاةٍ³⁸ الرِّزَامُ أَنْتُمْ حُماةٌ وَأَبُوكُمْ حَامُ
لَا تَعِدُونِي نَصْرَكُمْ بَعْدَ الْعَامِ لَا تُسْلِمُونِي، لَا يَجِلُّ إِسْلَامُ

ارتفع الشاعر بهذا الخطاب التحفيزي إلى الجدّ الأكبر الذي جمع قبائل تهامة بقريش، في محاولة لمجهم في الصراع (الديني/السياسي) بتصويره أنّ ما سيصيب قريش ينسحب عليهم جميعاً، مخاطباً فيهم الدوافع الجماعية التي تحكم تفكيرهم، إذ إنّ "...ميدان الصراعات السياسية هو الميدان الذي أدرك فيه الناس... وجود الدوافع الجماعية اللاشعورية التي كانت دائماً ترسم اتجاه الفكر..."³⁹ وهذه الدوافع تمثلها هنا رابطة الدم التي ركّز عليها الشاعر في خطابه، فعبد مناة بن كنانة هو أخ النضر بن كنانة جدّ قريش⁴⁰؛ كما أنّ قريشاً ارتبطت فيما سبق مع بني عبد مناة بن كنانة بحلف عُرف باسم "حلف الأحابيش"⁴¹، فالشاعر (صوت القبيلة) هنا يحرك فيهم عاطفة الأخوة المأزورة بذلك الحلف القديم الذي يُعتبر حدثاً تأسيسياً للرابطة السياسية بينهم، ومن هذه الخطابات كذلك قول هيرة بن أبي وهب في غزوة أحد⁴²:

سُقْنَا كِنَانَةَ مِنْ أَطْرَافِ ذِي يَمَنٍ عُرِضَ الْبِلَادِ عَلَى مَا كَانَ يُزْجِيهَا

قال كنانة: أتى تذهبون بنا؟ قلنا: التَّخِيل، فأموها ومن فيها
نحن القوارس يومَ الجَرِّ من أحدٍ هابثٌ معدٌّ فقلنا نحنُ نأتيها
يرز هنا دور الشاعر (صوت القبيلة)، وتصبح الحاجة إليه ملحةً، فالخروج إلى أرض المعركة بصورة جماعية
وطوعية يتطلب رفعاً للهمم، وتأجيلاً للروح العصبية، ذلك لأنَّ "...القوة الحشنة لا تتجح بدون ممارسة إقناع
يتولاه سوفسطائيون عموميون..."⁴³ والسوفسطائي في مثال الصراع العربي القديم هو الشاعر الذي يدعو إلى
الحرب ويبرز لها.

وبالفعل نجحت سفارة الشاعر (السوفسطائي) ومساعدته، فاستجابت هذه البطون من كنانة (الأحابيش)
لدعوته، وكان لها حضور فاعل في أرض المعركة، وهم الذين عَنَاهم كعب بن مالك (ر) في قوله⁴⁴:

فَجئنا إلى هوجٍ من البحرِ وسطه أحابيشٌ منهم حاسرٌ ومقتع
ثلاثة آلافٍ و نحنُ نصيئةٌ ثلاثٌ مئينٍ وإن كثرنا أربع

شكل الشعر وسيلةً فعالة سجلت أهم حلقات الصراع بين القوى القديمة (قريش و أحلافها) والقوة
الصاعدة (أنصار الدعوة الجديدة)، وعكست رؤية مميزة في إنشاء الخطابات الشعرية بالارتداد إلى الماضي لربط
الجماعة بجذورها، وإضفاء المشروعية على إيديولوجيتها، ومن ثم دفعها نحو سلوك معين يزيد من قوة المعركة،
ويؤكد أهمية الطاقة التبريرية (الشعر) في حمل الفكرة السياسية وتفعيلها من خلال واقع كان يتميز بالعنف،
ويدفع إلى الهجاء أكثر من أي سلوك آخر.

2-3 العنف والهجاء في شعر قريش:

ارتفعت أصوات الشعراء القرشيين بالهجاء في ظاهرة غير مسبقة، حملت في ثناياها إدانة واضحة
للخارجين عن التقاليد الموروثة، ذلك لأنَّ داعي التقليد عندهم كان أشدَّ سيطرة على العقول أكثر مما كانت
تبشّر به الدعوة الجديدة؛ ولعلَّ ذلك ما جعلهم منصرفين عن الإصغاء لما جاءت به، و مُتَشَبِّثِينَ بما ورثوه عن
الآباء، و بتعبير الغزالي: "...فإنَّ المُقلِّد لا يُصْغِي..."⁴⁵؛ وهذا المفهوم كانت قريش ترى فيما تقدّمت به الدعوة
الإسلامية أفكاراً مفارقة للواقع، وغير قابلة للتطبيق، حيث إنَّ الأساس الذي قامت عليه عقيدتهم "...مُحمَّد
عن طريق سلطة التقليد الأساسية، والمتمثلة في الاعتقاد في عدم زوال الماضي الأبدى..."⁴⁶، فمن ذلك كانت
كل محاولة للخروج عن الخط المرسوم، والمحدد بالتقليد تُقابل بعدائية شديدة، يمكن رصد بعض ملامحها في تلك
المهاجاة التي سجلت خلال العصر الإسلامي الأول بين شعراء قريش وشعراء المدينة المنورة.

كان أغلب الشعراء القرشيين الذين تورطوا في هذه المهاجاة من عشائر تُناصب بني هاشم (قوم النبي (ص)
العداء منذ الجاهلية، وتنافسها على السيادة والمجد، فكان الهجاء بعضاً ممّا كانت تُضمر؛ لكن الذي كان
طفرة وبدعاً من الأحداث في هذه الفترة، أن يُناصب بعض بني هاشم العداء للدعوة الدينية الجديدة التي
صدع بها رجلٌ منهم، وارتفعت أصوات بعضهم بهجائه ورفض التعاليم الثورية لدعوته لأنها أدانت التقاليد
الموروثة.

ارتفعت أصوات بعض بني هاشم بالعداء للدعوة الدينية الجديدة، و كان من أشدها أبو سفيان بن الحارث، فهو من الهاشميين الذين تورطوا في هذا الصراع الإيديولوجي بصورة مباشرة، و رافع من أجل استمرار التقليد الموروث، بالرغم من أنه كان أخاً للنبي (ص) من الرضاع⁴⁷؛ إلا أن هذه القرابة لم تمنعه من معاداة دعوته؛ ومحاربتة، والتحريض عليه، ومما روي عنه: "...فقال أبو سفيان بن الحارث: كونا أشد ما كنتم عليه، فإن ابني قتيلة"⁴⁸ إن ظفروا بكم لم يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة، وإن [أطعمتوني]⁴⁹ المحتموم خبر كنانة، أو يخرجوا محمداً (صلى الله عليه و سلم) من بين أظهرهم فيكون وحيداً مطروداً، وأما ابنا قتيلة فوالله ما هما وأهل ذهلك⁵⁰ في المذلة إلا سواء وسأكفيكم حدّهم، و قال:

سأمنح جانباً منّي غليظاً على ما كان من قُرب و بُعد
رجال الخزرجية أهل ذلّ إذا ما كان هزلّ بعد جدّ⁵¹.

كان أبو سفيان بن الحارث صوتاً للقبيلة في هذه الفترة-بلا منازع-، يحرض بلسانه ويحارب بسيفه، و مما زاد من فاعليته في الصراع الإيديولوجي أنه كان ذا شاعرية متوقّدة، ولسان حاد يصدر عن طبع و سليقة، ويجيد وضع الكلم في مواضعه، جاء في بعض المصادر العربية القديمة: "...وكان أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب من الشعراء المطبوعين..."⁵²؛ غير أنّها لم تذكر شيئاً عن شعره في الجاهلية، ولا عن الفنون التي كان يقول فيها، قال ابن سلام: "...و لأبي سفيان بن الحارث شعرٌ كان يقوله في الجاهلية، فسقط ولم يصل إلينا منه إلا القليل..."⁵³، أمّا بعض ما ذكر من شعره، فهو ممّا قيل في الإسلام.

كان هذا الشاعر المتقمّص لدور السلطة شديد العداء للإسلام و أهله، فهو "...ابن عمّ النبي صلى الله عليه و سلم، وأخوه من الرضاعة، أرضعتها حليلة السعدية أياماً، و كان يألف رسول الله و كان له ترباً، فلما بُعث رسول الله عاداه عداوة لم يعادها أحد قطّ، ولم يدخل الشعب مع بني هاشم، وهجا رسول الله وأصحابه..."⁵⁴، فكان هجاؤه شديداً، تأذى منه المسلمون كثيراً، وصف ابن كثير مبلغ هذا الهجاء: "...وكان قبل ذلك من أشدّ الناس على رسول الله (ص)، وعلى دينه و من تبعه، و كان شاعراً مُطبقاً يهجو الإسلام وأهله، وهو الذي ردّ عليه حسان بن ثابت رضي الله عنه في قوله:

ألا أبلغ أبا سفيان عتّي مُغلّغة فقد برّح الخفاء
هجوّت محمداً وأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء⁵⁵

لم تذكر المصادر القديمة شيئاً عن الهجاء الذي صدر عن أبي سفيان بن الحارث، غير أنّه يُلاحظ شيء منه في ردود حسان وأصحابه، حيث "...يبدو أنّ أبا سفيان كان قد هجا رسول الله صلى الله عليه وسلم هجاء عُرف به من دون أصحابه، إلا أنّ ذلك الشعر قد ذهب أو عمل المسلمون على طمسه وضياعه..."⁵⁶، لأنّه اتّسم بالهجاء المقذع الذي كان يصدر في شكل بيانات سياسية مُحتملة بأقصى العبارات وأشدّها بهدف الخطّ من مكانة الخصم، والظعن في دعواه، مما استوجب ردّاً مماثلاً من طرف الشعراء المسلمين.

كانت سمة الهجاء غالباً على شعراء قريش وأحلافها، إلا أنّها بدرجات متفاوتة، وأبو سفيان بن الحارث أشدهم في هذا الباب، ويلاحظ ذلك في المناقضات التي جاءت على ألسنة خصومه المسلمين رداً على أشعاره (النصوص المغيبة)، وبدرجة ثانية يُذكر عبد الله بن الزبيري بحدة لسانه، وشدّة قريحته، ويُلَمَح ذلك في ردود خصومه التي تشي بهجائياته المقذعة التي غيّبتها سلطة الرواية فيما بعد، ومن أمثلتها ما جاء في ديوان كعب بن مالك رداً على بعض أهاجيه⁵⁷:

سألت بك ابن الزبيري فلم أنبأك في القوم إلا هجيناً⁵⁸
تبجست تهجو رسول المليم لك قاتلك الله جلفاً لعينا
تقول الحنا⁵⁹ ثم تزمي به نقى الشيايب تقياً أميناً

جاءت هذه المقطوعة في سياق الردّ على نص غائب، والذي يمكن الولوج إلى علمه عن طريق الألفاظ الحاذة و المكثفة بالدلالات ذات الإيحاءات الهجائية، مثل: هجيناً، لعيناً، تقول الحنا... والتي عكست الملاحظة الشديدة الحادثة بين شعراء قريش ونظرائهم في يثرب (المدينة)، وفي المقابل يدلّ هذا النص على أن الشعر المناقض كان يحمل طاقة هجائية عنيفة تبرز تحفظ الرواة عن ترديده، وقد علّق جامع شعر ابن الزبيري "يجي جبوري" على هذه الأبيات قائلاً: "...ومعنى هذا أن ابن الزبيري قد هجا الرسول صلى الله عليه وسلم، وليس بين أيدينا من هذا الهجاء شيء، وهذا أمر طبيعي، إذ لم يحفظ الرواة هذا الهجاء تأدياً مع الرسول الكريم..."⁶⁰ فكان هذا السلوك مسوّغاً لاختفاء قسم كبير من مدوّنة قريش، وبقاء ما يُشير إليها في نقيضاتها الإسلامية، فكانت بذلك مدوّنة شعراء المدينة دليلاً على مقدار العنف والهجاء اللذين طبعاً الحركة الشعرية التي صوّرت المواجهة الأيديولوجية بين أنصار الدعوة الإسلامية و مناويها.

3- شعر قريش و سلطة الرواية:

شهدت ساحات قريش هبة شعرية غير مسبوقة على خلفية الصراع الحادث مع خصومها (أنصار الدعوة الجديدة)، فلمعت أسماء كثيرة لشعراء احتفت كتب الأدب والسّير بذكرهم وتوّعت بشاعريتهم، فلطالما طالعنا المصادر القديمة بأحكام تُشيد بأشعارهم؛ جاء في كتاب الاستيعاب لابن عبد البر: "...قالوا: ضرار بن الخطاب⁶¹ فارس قريش وشاعرهم... لم يكن في قريش أشعر منه..."⁶²، وقال ابن سلام: "...ويمكنه شعراء فأبرعهم شعراً: عبد الله بن الزبيري..."⁶³، وقال ابن كثير في البداية والنهاية عن أبي سفيان بن الحارث⁶⁴: "...وكان شاعراً مطبقاً يهجو الإسلام وأهله..."⁶⁵، كما ذكرت المصادر القديمة أسماء كثيرة لشعراء مُقلّين حركتهم الأحداث وخانهم الطبع، فكانوا من قالة البيت والبيتين خلال تلك الأحداث العنيفة.

بالرغم من كثرة الشعراء القرشيين في هذه الفترة الأولى من التاريخ العربي الإسلامي، إلا أنّ ما حُفظ من أشعارهم لا يعدو أن يكون مقطوعات قصيرة، ذكرت في ثنايا الأحداث والغزوات؛ فلم تكن المدوّنة الشعرية القرشية الماثورة عن العهد الأوّل من الصراع ترقى إلى مثيلاتها من مدوّنات القبائل العربية، من مثل مدوّنة قبيلة هذيل⁶⁶ أو غيرها من القبائل... وذلك أنّ ما استقرّ على صفحات المصادر الأدبية القديمة من شعر هذه

المرحلة خُطَّ بيد الفتنة المنتصرة (الرواة المسلمون)، ومن بدائه الأمور أن تتغلب الانتقائية في عملية حفظ هذه الأشعار، حيث "...إنَّ المسلمين لا يُرضيهم حفظ شعرٍ فيه تعريض برسول الله وأصحابه، فكان طبعياً أن يعملوا على طمسه وإبادته..."⁶⁷، فعمل هذا النمط من الرواية على تغييب قسطٍ كبير من المدونة القرشية، وامتدَّ إلى شعرها الذي كان بعيداً عن تداعيات الصراع.

كانت سلطة الرواية واضحة على هذه المدونة الشعرية، فقد مارست نوعاً من الانتقائية بما يتماشى وطبيعة الوضع السياسي السائد، فقد نهى الرسول (ص) عن رواية الأشعار التي كانت تُشيد بأعدائه؛ ومن ذلك ما رواه الأصفهاني حول قصيدة أمية بن أبي الصلت*⁶⁸ التي أولها:

ماذا ببدر والعنف — قل من مرازية مجاح

...و قال: وهي قصيدة نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن روايتها...⁶⁹، وكذلك أصبح هذا المذهب سنّة متبعة تجاه أي شعر يُشيد بخصوم الدولة الإسلامية الجديدة.⁷⁰

لم يتوقف الأمر عند حدود النهي عن رواية الأشعار التي تحمل طاقةً عدائية تجاه الدولة الجديدة، بل ذهب الرسول (ص)/السلطة أبعد من ذلك؛ فقد أمر بقتل من لم يرتدع من الشعراء ومن ذلك موقفه من أبي عزة الجمحي، أحد شعراء قريش، والذي أُسر يوم بدر وعفا عنه الرسول (ص)، ثم أُسر مرة أخرى، ذكرت المصادر "...أنَّ أبا عزة أُسر يوم أحد فقال: يا رسول الله منَّ عليّ، فقال النبي عليه السلام: لا يُلسع المؤمن من جحرٍ مرتين، وقال أبان: قال رسول الله [صلى الله عليه وسلم]: لا تمسح عارضيك بمكة و تقول: خدعت محمد مرتين، فقتله..."⁷¹، خسر هذا الشاعر حياته وفنّه (شعره)؛ فقد أصدرت السلطة السياسية أمراً بإعدامه جراء نكثه لعهد، ومارست سلطة الرواية بعد ذلك تعتياً على شعره، فلم ينبج منه سوى نُتف قليلة تداولتها المصادر العربية القديمة.

ظهر أثر سلطة الرواية على أشعار المناوئين للدعوة الإسلامية، فـ "...هذا الشعر لم يعد له مكان بعد انتصار الإسلام ودخول المناوئين فيه، لا بل أصبحت روايته مستكرهة، ومنهياً عنها..."⁷² ثم أخذ الأمر صبغةً رسمية مع بداية عصر التدوين في الثقافة العربية، فظهرت مؤلفات تاريخية، وأدبية وثقت أخبار تلك المرحلة، وسجلت ما قيل فيها من شعر، لكن من وجهة نظر المنتصر؛ ولعلَّ أهم المصادر التي ذكرت أحداث العهد الأول من التاريخ العربي الإسلامي، تمثلت في "السيرة النبوية لابن هشام"⁷³ الذي كان يتعقب الأشعار التي ذكرها من سبقه من العلماء وخاصة ابن اسحاق في سيرته، ويُعلق عليها بقوله: "...تركنا منها بيتين نال فيها من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم..."⁷⁴، وقوله: "...هذه الرواية لهذا الشعر مختلطة، ليست بصحيحة البناء..."⁷⁵...

كانت هذه الاستراتيجية في توثيق الأشعار ترسيخاً لنسق ثقافي شهده العصر الإسلامي الأول، بدأ مع انتصار الإسلام، وترسخ عند قيام الدولة، إذ كان التركيز بشكل متعمد على إسقاط النصوص التي تحمل روحاً عدائية تجاه الدعوة الإسلامية منذ بدايتها، وامتدَّ ذلك السلوك ليحجب حتى النصوص التي قيلت بعيداً عن

تداعيات الصراع، مما ضيق مدونة الشعراء المناوئين مقارنة مع نظرائهم اليربيين، فكانت سلطة الرواية الانتقائية بذلك حاسمة مع شعراء حاولوا أن يقفوا في وجه دعوة، كانت أسباب قوتها أكبر كثيراً من طاقتهم الدفاعية.

خاتمة:

شكلت العصبية القبلية محور الخطاب الشعري السياسي (القرشي) في مواجهة الدعوة الإسلامية، وكانت مدونتها تصديقاً فعلياً لجدلية الشعر والحرب في تاريخ الأدب العربي القديم، بنحوها على وقع أحداث الصراع الإيديولوجي مع القوة الصاعدة في المدينة، ومثلت بذلك نقطة انعطاف في مسيرة الشعر السياسي الذي شهد تحولاً كبيراً بدايةً من هذه الفترة، بتحوّله من تصوير النزاعات القبلية الضيقة إلى صراع (سياسي/ديني) حقيقي، انقسم المجتمع العربي جرّاءه إلى فريق مناصر للدعوة الجديدة وآخر مناوئ لها، ويتجه التركيز إلى شعر قريش في هذه الفترة تحديداً باعتبار أن القرشيين هم الذين تصدّروا الفريق المناوئ، وشهدوا المواجهة الأولى مع الدعوة الإسلامية التي غيّرت مسار التاريخ في المنطقة العربية، ووجّهت الأنظار نحو بؤرة شعرية (قريش) عُرفت بهاضيتها الشعرية الباهتة، لمخالفته النموذج المثل الذي يُعَلِي من شأن شعر البوادي في مقابل الحضري.

كان شعر قريش مثلاً للشعر الحضري في التراث العربي القديم، لخصوصية الحياة في هذه القبيلة التجارية التي ابتعدت عن حياة الترحال، ونأت إلى حدّ كبير عن الصراعات التقليدية، فقدت بذلك محرّكين أساسيين للحركة الشعرية (الرحلة والصراع)، فكانت مدونتها عبارة عن مقطوعات قصيرة، احتفظت بها كتب الأدب، صوّرت الحياة اليومية للمجتمع القرشي، إلا أن أحداث العصر الإسلامي الأول، أثارت قرائح الشعراء القرشيين وأدجّتهم في صراع غير متوقع، ليثبتوا بذلك مساجلات شعرية مثيرة، كانت في أحد جوانبها وثيقة تاريخية رئيسية، وفي جانب آخر كانت شاهداً على عملية ارتقاء بالأداء الشعري (السياسي)، بإثارتها لسلسلة مساجلات (نقائض) مع كوكبة من الشعراء (الخزرجيين) الذين مروا على المواجهات، وخبروا مجال القريض، فكانت مناقضاتهم حلقة مهمّة في تاريخ الشعر العربي.

كانت المساجلات الشعرية (النقائض) في عصر النبوة نتيجة مباشرة للصراع الإيديولوجي بين أنصار الدعوة الإسلامية وخصومها، وأثبتت حضوراً فعلياً للشاعر القرشي، باعتباره المبادر بالقول في أغلب الأحيان - كما أثبتت تحولاً في أداء الشعراء المسلمين، بتأهيمهم مع التعاليم الثورية للدعوة الدينية التي أعطت دفعة قويّة للحركة الشعرية، وفرضت رؤيتها على مسارات الأحداث وتركت بصمتها على كثير من التقاليد الفنيّة.

هوامش:

¹ - "...كانت قريش ابتدعت أمر الحمس، رأياً رأوه وأداروه بينهم، فقالوا: نحن بنو إبراهيم وأهل الحرم وولادة البيت وقطان مكة وسكانها، فليس لأحد من العرب مثل حقنا، ولا مثل منزلتنا...نحن أهل الحرم فلا ينبغي لنا أن نخرج من الحرم ولا أن نعظم غيرها كما نعظمها، نحن الحمس والحمس أهل الحرم..." البغدادي: محمد بن حبيب، المُنَقِّح في أخبار قريش، تصحيح: خورشيد أحمد فاروق، عالم الكتب، لبنان، ط1، 1985، ص127.

- ² - * الأسواق الأدبية: منتديات أدبية كانت تقام في الجاهلية، استأثرت مكة بأهم ثلاثة منها: 1- سوق عكاظ بين مكة والطائف. 2- سوق مجنة تعقد بأسفل مكة بمزّ الظهران. 3- سوق ذي الحجاز تعقد في محيط عرفات... أثرت هذه الأسواق في اللغة والأدب كثيراً فعملت على تقريب لهجات القبائل، وكان قيام قريش على هذه الأسواق هو الذي هيأ للغتها لأن تصبح كاللغة الرسمية... الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط2، 1999، ج2، ص138/139.
- ³ - * ذكر جرجي زيدان أن عدد الشعراء المعروفين في الجاهلية حوالي 125 شاعراً منهم 88 يرجعون إلى القبائل العدنانية، والباقيون من اليمن والموالي) ينظر: جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، دار الهلال، مصر، دت، ص64.
- ⁴ - * (عَدَّ ابن سلام شعراء مكة في الجاهلية فذكر منهم: الزبير بن عبد المطلب و مسافر بن أبي عمر، أما الذين أدركوا الإسلام فهم: أبو طالب بن عبد المطلب وأبو سفيان بن الحارث وأبو عزة الجمحي وضرار بن الخطاب وعبد الله بن الزبيري وعبد الله بن حذافة السهمي) ينظر: الجمحي: محمد بن سلام، طبقات فحول الشعراء، شرح: محمود محمد شاكر، نشر دار المدني، المملكة السعودية، دت، ص 233-234.
- ⁵ - * هكنا وردت في الأصل، والأصوب: كانت.
- ⁶ - الأصفهاني: أبو الفرج علي بن الحسين، الأغاني، تخ: إحسان عباس- إبراهيم السعافين بكر عباس، دار الصادر، لبنان، ط3، 2008، ج1، ص69.
- ⁷ - الأصفهاني: أبو الفرج علي بن الحسين، الأغاني، ج21، ص144.
- ⁸ - ينظر: الجمحي: محمد بن سلام، طبقات فحول الشعراء، ص233.
- ⁹ - المصدر نفسه، ص259.
- ¹⁰ - إحسان سركيس، الظاهرة الأدبية في صدر الإسلام و الدولة الأموية، دار الطليعة للطباعة والنشر، لبنان، ط1، 1981، ص86.
- ¹¹ - الجمحي: محمد بن سلام، طبقات فحول الشعراء، ص245.
- ¹² - * قال ابن قتيبة عن عدي بن زيد العبادي وهو شاعر حضري: "...وكان يسكن بالحيرة، ويدخل الأرياف، فنقل لسانه، واحتمل عنه شيء كثير جداً، وعلماؤنا لا يرون شعره حجة..." ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، تخ: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، دت، ص225.
- ¹³ - إحسان سركيس، الظاهرة الأدبية في صدر الإسلام و الدولة الأموية، ص86.
- ¹⁴ - البيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين، دلائل النبوة و معرفة أحوال صاحب الشريعة، تعليق: عبد المعطي قلعي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1988، ج3، ص191.
- ¹⁵ - * يستعمل مصطلحا قريش البطاح وقريش الظواهر للدلالة على بيئتين مختلفتين، قريش البطاح هم ساكنة الحرم (الحضر) وهم أهل الجاه، والثروة، وقريش الظواهر هم الذين يسكنون خارج مكة (البادية) وكانوا أقل شأناً منهم (ينظر: محمد رضا كحالة، معجم القبائل العربية القديمة والحديثة، المطبعة الهاشمية، سوريا، دت، 1949، ج3، ص948.
- ¹⁶ - * "...هيرة بن وهب الخزومي شاعر قريش، مخضرم عاش في الجاهلية والإسلام... اشتهر بعداوته للرسول (ص)... له شعر في موقعة أحد..." عزيزة فوال، معجم الشعراء المخضرمين و الأمويين، دار الصادر للطباعة والنشر، لبنان، ط1، 1998، ص508.

- ¹⁷ - "عمر بن العاص بن وائل السهبي القرشي... كان من الأشداء على الإسلام في الجاهلية، أسلم يوم الحديبية... توفي 43 هجري..." المرجع نفسه، ص 330.
- ¹⁸ - "الحارث بن هشام من بني مخزوم، شاعر أدرك الجاهلية والإسلام... قتل مات في سنة 18 هجري... و قيل بل استشهد في معركة اليرموك..." المرجع نفسه، ص 93.
- ¹⁹ - الجمحي: محمد بن سلام، طبقات فحول الشعراء، ص 233.
- ²⁰ - ماكس فيبر، الاقتصاد و المجتمع، تر: محمد التركي، المنظمة العربية للترجمة، لبنان، ط 1، 2015، ص 184.
- ²¹ - عبد الله بن الزبير، الديوان، تح: يحيى جبوري، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط 2، 1981، ص 13.
- ²² - المرجع نفسه، ص 31.
- ²³ - طه حسين، تقليد و تجديد، دار العلم للملايين، لبنان، ط 2، 1981، ص 26.
- ²⁴ - "قال أحمد أمين: "...وقد كان العداء مستحكماً بين العدنانيين و القحطانيين من قديم... وأصل هذا العداء على ما يظهر هو ما بين البداوة و الحضارة من نزاع طبيعي، و كان توالي الحوادث والوقائع الحربية يزيد في العداء و يقوي بينهم روح الشر، و من أوضح المثل على هذا ما كان من العداء الشديد بين أهل المدينة - الأوس و الخزرج - و هم على ما يذكر النسابة يمنيون وأهل مكة، و هم عدنانيون، و قد استمر هذا التنافس بينهم بعد الإسلام..." أحمد أمين، فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، لبنان، ط 10، 1969، ص 6.
- ²⁵ - "ضرار بن الخطاب: ت 634/هـ 13م "...ضرار بن الخطاب بن مرداس من محارب بن فهر من طواهر قريش... قاتل المسلمين في أحد و الحندق، أسلم بعد الفتح..." عزيزة فوال بابتي، معجم الشعراء المخضرمين و الأمويين، ص 219.
- ²⁶ - ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تح: علي محمد البجاوي، دار الجليل، لبنان، 1992، ج 2، ص 748.
- ²⁷ - الجمحي: محمد بن سلام، طبقات فحول الشعراء، ص 250.
- ²⁸ - أحمد سليم فاروق: شعر قريش في الجاهلية و صدر الإسلام، دار معد للطباعة و النشر، سوريا، ط 1، 1997، ص 154.
- ²⁹ - ابن هشام: أبو محمد عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، تعليق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، لبنان، ط 3، 1990، ج 2، ص 362.
- ³⁰ - الأسود بن زعنة: شاعر قرشي معاصر للرسالة روت له المصادر القديمة أشعاراً أثناء اشتداد الصراع بين قريش و المسلمين ت ؟ ... ينظر: عزيزة فوال بابتي، معجم الشعراء المخضرمين و الأمويين، ص 26.
- ³¹ - "مقيس بن صبابه بن حزن بن يسار، أخواله بني سهم... أسلم ثم ارتد بعدما قتل أحد الأنصار أخاه خطأ... أهدر النبي (ص) دمه... توفي 630/هـ 8م " ينظر: المرجع نفسه، ص 473.
- ³² - "قتيلة بنت النضر بن الحارث بن علقمة من قريش... أدركت الإسلام، أسير أبوها في بدر و قتل، فرثته... توفيت نحو 640/هـ 20م ... ينظر: المرجع نفسه، ص 368.
- ³³ - عزيزة فوال بابتي، معجم الشعراء المخضرمين و الأمويين، ص 331.
- ³⁴ - الجمحي: محمد بن سلام، طبقات فحول الشعراء، ص 253.
- ³⁵ - ينظر المصدر نفسه، ص 253.
- ³⁶ - الأصفهاني: أبو الفرج علي بن الحسين، الأغاني، ج 15، ص 123.

- ³⁷ -الجمعي: محمد بن سلام، طبقات فحول الشعراء، ص254.
- ³⁸ -* (بنو عبد مناة: مجموعة بطون من العرب العدنانية تنتسب إلى كنانة بن خزيمة بن مدركة الجد الأكبر لقريش) ينظر: الزيري: أبو عبد الله المصعب بن عبد الله: نسب قريش، تعليق: ليفي بروفونسيال، دار المعارف، مصر، ط3، دت، ص10.
- ³⁹ -كارل مانهايم، الإيديولوجيا والبيوتيا، تر: محمد رجا الديري، شركة المكتبات الكويتية، الكويت، ط1، 1980، ص114.
- ⁴⁰ -* قال مصعب الزيري: "...وُلد كنانة بن خزيمة: التضر و به يكتي، و ملكا و ملكان...و عبد مناة بن كنانة و أمه الذفراء..."
- الزيري: أبو عبد الله المصعب بن عبد الله، نسب قريش، ص10.
- ⁴¹ -* (من أهل مكة جماعة عرفت بالأحابيش، ذكر أهل الأخبار أنهم حلفاء قريش، و هم: بنو المصطلق، و الحيا و بنو الهون بن خزيمة، اجتمعوا بذنب حبشي -جبل بأسفل مكة فتحالفوا...و التحابيش هو التجمع في كلام العرب) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، نشر جامعة بغداد، العراق، ط2، 1993، ج4، ص31.
- ⁴² -ابن هشام: أبو محمد عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، ج3، ص93.
- ⁴³ -بول ريكور، من النص إلى الفعل: أبحاث التأويل، تر: محمد برادة- حسن بورقية، عين للبحوث و الدراسات الاجتماعية، مصر، ط1، 2001، ص302.
- ⁴⁴ -كعب بن مالك الأنصاري، الديوان، تخ: مجيد طراد، دار الصادر، لبنان، ط1، 1997، ص60.
- ⁴⁵ -أبو حامد الغزالي، القسطاس المستقيم، تخ: فيكتور شلحت، منشورات دار المشرق، لبنان، ط2، 1983، ص85.
- ⁴⁶ -ماكس فيبر، الاقتصاد و المجتمع، ص303.
- ⁴⁷ -العسقلاني: أحمد بن علي بن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، تخ: عادل أحمد عبد الجواد-علي محمد عوض، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1995، ج7، ص151.
- ⁴⁸ -* بني قيلة: علم على قبيلتي الأوس و الخزرج، جاء في كتاب أسد الغابة في معرفة الصحابة: "...فقال: قد اجتمع ملاء بني قيلة - يعني الأوس و الخزرج- بهذه البلاد لا و الله ما لنا إذا..." ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار ابن حزم، لبنان، ط2، 2012، ص89.
- ⁴⁹ -* (أطعموني) هكنا وردت في الأصل، و قد يكون الصواب، (أطعموني).
- ⁵⁰ -* "...دهلك: دهلك موضع، أعجمي معرب، و الدهالك: آكام سود معروفة..." ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار المعارف، مصر، تخ: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دت، دط، ص1443.
- ⁵¹ -الطبراني: أبو القاسم سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، تخ: حمدي عبد الحميد السلفي، مكتبة ابن تيمية، مصر، دط، دت، ج2، ص123.
- ⁵² -ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص1674.
- ⁵³ -الجمعي: محمد بن سلام، طبقات فحول الشعراء، ص247.
- ⁵⁴ -علي محمد الصلاحي، الدولة الأموية عوامل الازدهار و تداعيات الانهيار، دار المعرفة لبنان، ط2، 2008، ص24.
- ⁵⁵ -ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل: البداية و النهاية، تخ: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة و النشر، ط1، ج4-5، 10، 1998، ص105.
- ⁵⁶ -الجبوري يحيى: شعر الخضرين و أثر الإسلام فيه، مكتبة النهضة، العراق، ط1، 1964، ص155.

- ⁵⁷- كعب بن مالك الأنصاري، الديوان، ص 104.
- ⁵⁸- * "الهجين: العربي ابن الأمة لأنه معيب... الهجين: الذي أبوه خير من أمه..." مادة (هجن) ابن منظور: جبال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، ص 4625.
- ⁵⁹- * "...الخنا: من قبيح الكلام... الخنا: الفحش... و خنا في كلامه و أخنى: أخش..." المصدر نفسه، ص 1282.
- ⁶⁰عبد الله بن الزبير، الديوان، ص 16 (المقدمة).
- ⁶¹- * (ضرار بن الخطاب بن مرداس من محارب بن فهر، من طواهر قريش، شاعر و صحابي، ت 13هـ/ 634م...) ينظر: عزيزة فوال بابتي، معجم الشعراء المخضرمين، ص 219.
- ⁶²ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص 748.
- ⁶³الجمحي: محمد بن سلام، طبقات فحول الشعراء، ص 233.
- ⁶⁴- * (أبو سفيان بن الحارث: المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم... أحد الأبطال الشعراء في الجاهلية و الإسلام... أخو الرسول "ص" من الرضاع... توفي سنة 20هـ...) (خير الدين الزركلي، الأعلام: قاموس تراجم، دار العلم للملايين، لبنان، ط 15، 2002، ج 7، ص 276).
- ⁶⁵- ابن كثير: عماد الدين أبي الفداء إسماعيل، البداية و النهاية، ص 105.
- ⁶⁶- * "...ذكر حسان بن ثابت أن عدد شعراء هذيل في عصره كان أكثر من ثلاثين شاعراً... و من الأشعار التي وصلت إلينا نعرف أكثر من مائة شاعر هذلي..." فؤاد سركين، تاريخ التراث العربي، تر: محمود فهدى حمادي، إدارة الثقافة و النشر جامعة محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، دط، 1991، ج 2، ص 66.
- ⁶⁷- يحيى جبوري، شعر المخضرمين و أثر الإسلام فيه، ص 50.
- ⁶⁸- (... أمية بن أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عوف بن عقدة... تزهد و نبذ عبادة الأوثان... و حرم الخمر و قرأ الكتب المتقدمة و كان يخبر بأن نبياً سيبعث و يؤمل أن يكون هو... توفي 5هـ/ 626م) عزيزة فوال بابتي، معجم الشعراء الجاهليين، دار الصادر للطباعة و النشر، لبنان، ط 1، 1998، ص 38.
- ⁶⁹- الأصفهاني: أبو الفرج علي بن الحسين، الأغاني، ج 4، ص 98.
- ⁷⁰- * تجاهل الرواة أشعار القرشيين كان بمثابة التكليف الشرعي، فقد كان نهي الرسول (ص) عن رواية الشعر الذي فيه عصبية، و إقذاع، و من ذلك ما رواه البغدادي في خزنة الأدب عن أمية بن أبي الصلت الثقفي الذي كان يناصر قريشاً ضد المسلمين: "...و كان يخرض قريشاً بعد وقعة بدر، و يُرثي من قُتل فيها، فمن ذلك قصيدته الحاثية التي نهي النبي [ص] عن روايتها..." البغدادي: عبد القادر بن عمر، خزنة الأدب و لبّ لباب لسان العرب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ط 4، 1997، ج 1، ص 251.
- ⁷¹- الجمحي: محمد بن سلام، طبقات فحول الشعراء، ص 255.
- ⁷²- إحسان سرقيس، الظاهرة الأدبية في صدر الإسلام و الدولة الأموية، ص 87.
- ⁷³- * "...ابن هشام: أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري الماعفري، متوفى سنة 213 أو 218هـ نشأ بالبصرة و نزل مصر... و هو الذي انتهت إليه سيرة ابن اسحاق و اشتهرت على يديه..." ابن هشام أبو محمد عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، ج 1، ص 7 (المقدمة).
- ⁷⁴- المصدر نفسه، ج 2، ص 377.

⁷⁵ - المصدر نفسه، ج 2، ص 378.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- البغدادي: محمد بن حبيب، المتمق في أخبار قريش، تصحيح: خورشيد أحمد فارق، عالم الكتب، لبنان، ط 1، 1985.
- 2- الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط 2، 1999، ج 20.
- جرحي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، دار الهلال، مصر، دت، دط.
- 3- الجمحي: محمد بن سلام، طبقات فحول الشعراء، شرح: محمود محمد شاكر، نشر دار المدني، المملكة السعودية، دط، دت.
- 4- أبو الفرج علي بن الحسين، الأغاني، تخ: إحسان عباس- إبراهيم السعافين- بكر عباس، دار الصادر، لبنان، ط 3، 2008، ج 1.
- 5- إحسان سركيس، الظاهرة الأدبية في صدر الإسلام و الدولة الأموية، دار الطليعة للطباعة والنشر، لبنان، ط 1، 1981.
- 6- ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم، الشعر و الشعراء، تخ: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، دط، دت.
- 7- أبو بكر أحمد بن الحسين، دلائل النبوة و معرفة أحوال صاحب الشريعة، تعليق: عبد المعطي قلعي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط 1، 1988، ج 3.
- 9- محمد رضا كحالة، معجم القبائل العربية القديمة و الحديثة، المطبعة الهاشمية، سوريا، دط، 1949، ج 3.
- 10- عزيزة فوال، معجم الشعراء المخضرمين و الأمويين، دار الصادر للطباعة و النشر، لبنان، ط 1، 1998.
- 11- ماكس فير، الاقتصاد و المجتمع، تر: محمد التركي، المنظمة العربية للترجمة، لبنان، ط 1، 2015.
- 12- عبد الله بن الزبير، الديوان، تخ: يحيى جبوري، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط 2، 1981.
- 13- طه حسين، تقليد و تجديد، دار العلم للملايين، لبنان، ط 2، 1981.
- 14- أحمد أمين، فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، لبنان، ط 10، 1969.
- 15- ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تخ: علي محمد البجاوي، دار الجيل، لبنان، 1992، ج 2.
- 16- أحمد سليم فاروق: شعر قريش في الجاهلية و صدر الإسلام، دار معد للطباعة و النشر، سوريا، ط 1، 1997.
- 17- ابن هشام: أبو محمد عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، تعليق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، لبنان، ط 3، 1990، ج 2.
- 18- الزيري: أبو عبد الله المصعب بن عبد الله: نسب قريش، تعليق: ليفي بروفونسيال، دار المعارف، مصر، ط 3، دت.
- 19- كارل مانهايم، الإيديولوجيا و اليوتوبيا، تر: محمد رجا الدينيني، شركة المكتبات الكويتية، الكويت، ط 1، 1980.
- 20- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، نشر جامعة بغداد، العراق، ط 2، 1993، ج 4.
- 21- بول ريكور، من النص إلى الفعل: أبحاث التأويل، تر: محمد برادة- حسن بورقية، عين للبحوث و الدراسات الاجتماعية، مصر، ط 1، 2001.
- 22- كعب بن مالك الأنصاري، الديوان، تخ: مجيد طراد، دار الصادر، لبنان، ط 1، 1997.
- 23- أبو حامد الغزالي، القسطاس المستقيم، تخ: فيكتور شلحت، منشورات دار المشرق، لبنان، ط 2، 1983.

- 24- العسقلاني: أحمد بن علي بن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، تح: عادل أحمد عبد الجواد-علي محمد عوض، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1995، ج.7
- 25- ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار ابن حزم، لبنان، ط2، 2012.
- 26- ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار المعارف، مصر، تح: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دت، دط.
- 27- الطبراني: أبو القاسم سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، تح: حمدي عبد الحميد السلفي، مكتبة ابن تيمية، مصر، دط، دت، ج.2
- 28- علي محمد الصلاحي، الدولة الأموية عوامل الازدهار و تداعيات الانهيار، دار المعرفة لبنان، ط2، 2008.
- 29- ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل: البداية و النهاية، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة و النشر، ط1، ج4-5-10، 1998.
- 30- الجبوري يحيى: شعر المخضرمين و أثر الإسلام فيه، مكتبة النهضة، العراق، ط1، 1964.
- 31- خير الدين الزركلي، الأعلام: قاموس تراجم، دار العلم للملايين، لبنان، ط15، 2002، ج.7
- 32- فؤاد سركين، تاريخ التراث العربي، تر: محمود فهمي حجازي، إدارة الثقافة و النشر جامعة محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، دط، 1991، ج.2
- 33- عزيزه فوال بابتي، معجم الشعراء الجاهليين، دار الصادر للطباعة و النشر، لبنان، ط1، 1998.
- 34- البغدادى: عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب و لبّ لباب لسان العرب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ط4، 1997، ج.1.